# كتابة المصاحف في الأندلس

إعداد

الدكتورة سهى محمود بعيون(*)

## ملخص البحث

يعد المصحف الشريف من المخطوطات الأولى التي خصَّها الفنانون بجهدهم لتجميله وزخرفته وتطوير أساليب رسمه وحفظه. ولقد مهر جمهرة من الخطاطين الأندلسيين ببراعة الخط وجماله، وكتبوا المصاحف.

وتتناول هذه الدراسة رحلة الخط العربي إلى الأندلس. دخول الخط العربي إلى المغرب العربي، وحيث كانت القيروان محطته الأولى التي انطلق منها الحرف العربية إلى بقية أقطار الشمال الإفريقي والأندلس وغرب إفريقيا، ومدى التطوّر الذي حدث له في تلك الربوع. ثم استكمال رحلة الخط العربي إلى الأندلس وتطوّره في تلك البلاد، وخصائص الخط الأندلسي وأنواعه. ثم انتقال الخط الأندلسي إلى شمال إفريقيا.

كما تتناول اهتمام الأندلسيين بتجليد وبزخرفة المصاحف، حيث ارتقى الأندلسيون درجة رفيعة في هذا الفن. وكان الاهتمام بتجليد القرآن العظيم بالغاً وعظيماً. وتلقي الضوء على أشهر الخطاطين الأندلسيين الذي عكفوا على نسخ وكتابه القرآن الكريم. كما تتناول اهتمام النساء الأندلسيات بالخط العربي وتفوقهن في هذا الميدان، وأبرز هؤلاء الخطاطات.

أسأل الله تعالى أن يفقهنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، إنَّه سميع مجيب.

---

(*) باحثة في الدراسات الأندلسية. dr_souha@hotmail.com

## المقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم. والصلاة والسلام على محمد النبي الأميّ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وجعل من أمته خير أمّة أخرجت للناس.

يُعدّ الخط العربي من أجلّ الفنون الإسلامية، وله منذ عهد بعيد سحره وجماله وجاذبيته، يستوقف الناظر، ويثير الدهشة والإعجاب، فللحروف العربية قدرة متميَّزة على التشكيل والتنوُّع المستمر، ومرونة انسيابية طيِّعة استجابت لنوازع الخطاطين الإبداعية، واستحداثهم لضروب مختلفة من الأنماط الكتابية، ووفَّرت لهم الحريَّة في استخدامه.

ولقد تفنَّن المسلمون عبر العصور في تجويد كتابة مصاحفهم، وزخرفتها، وتذهيبها، والعناية بها، وفي كل عصر، وفي كل مصر برز خطّاطون بلغوا شأوا عالياً في حسن الخط وتجويده، فجاؤوا بما يبهر من الخطوط المنسوبة، التي خَلَّدت ذكرهم على مر العصور.

وكان للمسلمين فضل كبير في الأندلس في تطوير الكتابة. وإنَّ الخط الأندلسي هو أحد الخطوط العربية التي تطوَّرت في بلاد الأندلس، حتى اكتسب أساليب كتابية خاصة تميّزه عن غيره من الخطوط العربية الأخرى. ومهر جمهرة من الخطاطين الأندلسيين ببراعة الخط وجماله، وكتابة المصاحف.

أحببت أن تكون مشاركتي في «**ملتقى مجمع الملك فهد لأشهر خطاطي المصحف الشريف في العالم**» في دراسة تاريخية تتناول الخط الأندلسي والخطاطِّين الذين خطُّوا المصحف الشريف في الأندلس، وبحثت كثيراً حول هذا الموضوع، فوجدت أنَّ الدراسات التي تعالج هذا الموضوع قليلة، وأكثرها يبحثُ في أنواع الخطوط العربية

ويركِّز على الخطوط المشرقية، والخطاطين المشارقة. فلا يُذكر الخط الأندلسي على نحو مفصل. لهذا كله تعمّقت الرغبةُ ورسخ الميلُ في النفس نحو البحث والدراسة في هذا الحقل المهم، وذلك من خلال وجهة نظري. واخترت عنوان البحث: «**كتابة المصاحف في الأندلس**».

تناولت في هذه الدراسة رحلة الخط العربي إلى الأندلس، دخول الخط العربي إلى المغرب العربي، فكانت القيروان محطته الأولى، ومدى التطوّر الذي حدث له في تلك الربوع، ثم استكمال رحلة الخط العربي إلى الأندلس، وتطوّره في تلك البلاد، وخصائص الخط الأندلسي وأنواعه، ثم انتقال الخط الأندلسي إلى شمال إفريقيا.

كما تناولت اهتمام الأندلسيين بتجليد المصاحف وزخرفتها، إذ ارتقى الأندلسيون درجة رفيعة في هذا الفن. وألقيت الضوء على أشهر الخطاطين الأندلسيين الذين عكفوا على نسخ القرآن الكريم. كما تناولت اهتمام النساء الأندلسيات بالخط العربي وتفوقهن في هذا الميدان، وأبرز هؤلاء الخطاطات.

من المراجع المهمة التي رجعت إليها في هذه الدراسة: **مصوّر الخط العربي للمؤلف** ناجي زين الدين، و**الفنون الجميلة في العصور الإسلامية** للدكتور عمر رضا كحّالة، و**تاريخ الوراقة المغربية** للمؤلف محمد بن عبد الهادي المنوني، و**تاريخ وفن صناعة الكتاب** للمؤلف سمير عطا الله، و**أطلس الحضارة الإسلامية** للدكتور إسماعيل راجي الفاروقي، والدكتورة لويس لمياء الفاروقي، و**الوراقة والورّاقون في الأندلس** للدكتورة سامية مصطفى سعد، و**تطوّر كتابة المصحف الشريف وطباعته** للدكتور محمد سالم بن شديد العوفي، و**الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط** للمؤلف صالح بن إبراهيم الحسن، وغير ذلك من المراجع.

## المبحث الأول
## نشأة الخط الأندلسي وانتشاره

**١ - دخول الخط العربي إلى الأندلس**

حمل الفاتحون المسلمون دينهم وشرائعهم إلى سكان المغرب، وكانوا في رحلتهم الظافرة هذه، يحملون كتاب الله في صدورهم، وقد أدخل الفاتحون المسلمون الخطّين اللذين كانا شائعين آنئذ؛ وهما الخط الحجازي أو المكي اللين، والخط الكوفي اليابس، كما أدخلوهما في المصاحف المعتمدة اعتماداً كلياً على الخط الحجازي. وقد استقر المسلمون في القيروان من الشمال الإفريقي سنة ٥٠هـ(٦٧٠م). وفي هذه العاصمة الإسلامية الجديدة انتشر القرآن وخطّه بين أهل المغرب، ومنه انتقل إلى الأندلس بعد فتحها. ثم بدأت معالم استقلال المغاربة بخطهم تظهر. وأخذ الخط العربي في المغرب يتطوّر ذاتياً من داخله، ومن أبناء المغرب نفسه، بعيداً عن الحركة الفنية في المشرق.(١)

وأصبح الخط بعد ذلك يسمى في تلك الربوع بالخط القيرواني، نسبة إلى محطته الأولى في المغرب العربي، وإلى ما حدث له من تطوير ذاتي في تلك المدينة.(٢)

كانت القيروان المحطة الأولى التي انطلق منها الحرف العربي إلى بقية أقطار الشمال الإفريقي والأندلس وغرب إفريقيا. وكانت الفتوحات من المغرب، وقد حمل المغاربة مع الفاتحين كتابتهم الأولى للأندلس، والتطوّرات التي حدثت في القيروان تأثر بها الأندلسيون من خلال روابط العلاقات الثقافية الوطيدة فيما بينهم، وكانت

(١) **الخط المغربي عند ابن خلدون**: د. محمد المغراوي، مجلة حروف عربية، العدد الرابع، السنة الأولى، تموز ٢٠٠١م ـ **الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط**: صالح بن إبراهيم الحسن، ص ٢٧٦.

(٢) **الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط**: صالح بن إبراهيم الحسن، ص ٢٧٧.

القيروان مركز عبور نحو الشرق ومنه، كما كان يقصدها من الأندلس طلاب وعلماء للبحث والدراسة، إلا أن الحضارة التي عرفت باستقرار المسلمين في الأندلس جعلت التبعية في تطوّر الكتابة إليها لا للقيروان.

**٢- تطوّر الخط الأندلسي**

من أهم الخطوط التي كتبت بها المصاحف خلاف الخط الكوفي، الخط المغربي، والمقصود بالخط المغربي خطوط العالم الإسلامي شمال إفريقية والأندلس.(١) بلغ هذا الخط الجميل السَّلس غاية نموِّه في إسبانيا والمغرب في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، وكان الأسلوب المتصل الأوحد المولّد من الكوفي مباشرة.(٢) وأقدم ما وجد منه يرجع إلى سنة ٣٠٠ للهجرة أي سنة ٩١٢م.(٣) وكان يسمى الخط «القيرواني» نسبة إلى مركز أهميته، وهي مدينة القيروان.(٤)

وظهر في الأندلس نوع مطوّر من الخط القيرواني أصبح يسمى بالخط الأندلسي، يميل إلى الليونة في رسم حروفه. ويمتاز عن الخط المغربي بما يشيع فيه من الاستدارات وتداخل الكلمات وإطالة أواخر الحروف، والعناية بتنسيق الكتابة وتحسينها، ونجده في نُسَخ القرآن المكتوبة في الأندلس وشمال إفريقية.(٥)

يقول ابن خلدون: «وتميّز مُلكُ الأندلس بالأمويين، فتميّزوا بأحوالهم من

(١) **دراسة في تطوّر الكتابات الكوفية**: د. إبراهيم جمعة، ص ٧٢.
(٢) **وحدة الفن الإسلامي**: معرض عن الفن الإسلامي، ص ٢٩.
(٣) **الخط العربي تاريخه وأنواعه**: يحيي سلّوم العباسي الخطاط، ص٢٥٣.
(٤) **أطلس الحضارة الإسلامية**: د. إسماعيل راجي الفاروقي، د. لوس لمياء الفاروقي، ٥١٧.
(٥) **الفنون الجميلة في العصور الإسلامية**: عمر رضا كحّالة، ص ١٧٦ـ **الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط**: صالح بن إبراهيم الحسن، ص ٢٧٧ ـ **الخط والكتابة في الحضارة العربية**: د. يحيى وهيب الجبّوري، ص١٤٤.

الحضارة والصنائع والخطوط، فتميّز صنف خطّهم الأندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد»[1].

وتطوّر هذا النوع من الخط في الأندلس بعد أن انتقلت عاصمة بلاد المغرب من القيروان في شمال إفريقية إلى الأندلس، ثم قلّت العناية بالخط المغربي في المصاحف التي كتبت في غَرْناطة وفاس في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وإن لم تفقد الزخارف المتعددة الألوان بهجتها وجمالها.[2]

انبثقت من بين ثنايا أسطر الخط الأندلسي الأناقة والأصالة، وتميّز وتفرّد بجماليته عن باقي الخطوط العربية الأخرى. وكان له شخصية مستقلّة تميّزه عن غيره من الخطوط الأخرى، وأصبح خط الأندلس هو القدوة للمغرب.

كما ذكرنا فقد وقع تبنّي الخط الكوفي في البداية. ثم تطوّر في عهد الخلفاء الأمويين لينتهي في القرن الرابع الهجري -القرن العاشر الميلادي- إلى نوعين أساسيين هما:

- **الخط الكوفي الأندلسي**: ويتميز بغلبة الزوايا، وهو شديد التأثر بالخط الكوفي.

- **الخط القرطبي أو الأندلسي**: خطوط الخط «الأندلسي» أو «القرطبي» أكثر رشاقة وتقارباً من الخطوط المشابهة، ويتميّز باستطالات خطوطه الأفقية وسحباته السفلى. وتكثر فيه الانحناءات والاستدارات، وقد استخدم في نسخ المصاحف والكتب، وقد غدا هذا الخط من أشهر الأساليب في الأندلس. وقد ساد هذا النوع في المغرب العربي كلّه حتى أواخر حكم الموحّدين.[3]

---

(١) **مقدمة ابن خلدون**: ص ٤٢٠.

(٢) **الفنون الجميلة في العصور الإسلامية**: عمر رضا كحّالة، ص ١٧٦.

(٣) **أطلس الحضارة الإسلامية**: د. إسماعيل راجي الفاروقي، ص ٥١٧ ـ **الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط**: صالح بن إبراهيم الحسن، ٢٧٧- ٢٧٨.

نما الخط العربي في الأندلس وتطوّر، وقد وصلتنا نماذج تؤكد ذلك، ويعود تاريخها إلى القرن الرابع الهجري.

وفي مصحف ابن غَطُّوس (ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م) نشاهد التطوّرات التي جرت في أحضان المصحف في بلاد الأندلس، فمن اليبوسة إلى الليونة، ومن القيرواني البديع إلى الأندلسي البهي الجميل.

**٣- انتشار الخط الأندلسي في شمال إفريقيا**

وبدأ تأثيره القرن الخامس الهجري -القرن الحادي عشر الميلادي- ميلادي، انتقل الخط الأندلسي إلى شمال إفريقيا مع موجات المهاجرين الأندلسيين، الذين تمكّنوا من نشره في مختلف المناطق والبلدان وفي هذا المعنى يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: «وأما أهل الأندلس فانتشروا في الأقطار... في عدوة المغرب وإفريقية... وتعلقوا بأذيال الدولة، فغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفا عليه، ونسي خط القيروان والمهدية... وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس، وما إليها».[١]

كان للهجرات المتكرّرة للأندلسيين إلى المغرب، منذ عصر المرابطين دور أساسي في انتشار الخط الأندلسي في إفريقية والمغربين الأوسط والأقصى، وساعد على ذلك خدمة أعداد منهم في الوظائف الرسمية، ومشاركتهم في النهضة العلمية والحضارية خلال عصور المرابطين والموحدين والمرينيين والحفصيين.[٢]

وأدت الهجرة إذن لمنافسة الخط الأندلسي لخطوط إفريقية ومزاحمتها في مراكز الخط المزدهرة كتونس والقيروان والمهدية، حتى صارت خطوط أهل إفريقية تعتمد

(١) **مقدمة ابن خلدون**: ص ٤٢٠.

(٢) **الخط المغربي عند ابن خلدون**: د. محمد المغراوي، مجلة حروف عربية، العدد الرابع، السنة الأولى، تموز ٢٠٠١م.

على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها، لتوافر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس. وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتّاب الأندلس ولم يتمرسوا بجوارهم.(١)

واحتل الخط الأندلسي المكانة الأولى في كل شمال إفريقية في أواخر عهد الموحدين (٥٢٤-٦٦٨هـ/ ١١٣٠-١٢٦٩م).(٢)

كان تأثير الخط الأندلسي قوياً جداً في خطوط المغرب الأقصى أيضاً. وكان أقوى تأثير أندلسي في الخط المغربي قد حصل في عصر بني مرين، بسبب الأعداد الكبيرة من المهاجرين الأندلسيين الذين استقرّوا بمدينة فاس، وكان منهم علماء وكتّاب وخطّاطون شغل عدد منهم مناصب ووظائف رسمية.

(١) **الخط المغربي عند ابن خلدون**: د. محمد المغراوي، مجلة حروف عربية، العدد الرابع، السنة الأولى، تموز ٢٠٠١م.

(٢) **تطوّر كتابة المصحف الشريف وطباعته**: د. محمد سالم بن شديد العوفي، ص ٣٦.

## المبحث الثاني

## اهتمام الأندلسيين بتجليد وبزخرفة المصاحف

بلغ الأندلسيون في تذوّقهم الجمالي للخطوط شوطاً كبيراً لدرجة أنّهم كانوا يسارعون لاقتناء الكتب التي يكتبها أمهر الخطّاطين، وأنّهم كانوا يدفعون في سبيل الحصول عليها الأثمان الغالية.

وقد عُرف عن وراقي الأندلس أنّهم أمهر الورّاقين، وأحذقهم في هذا الميدان، ووصفت خطوطهم بأنّها مدوّرة. فمنذ عصر الإمارة كانت دكاكين الورّاقين قليلة إلَّا أنّ حِرفة نسخ الكتب وتجليدها كانت مزدهرة من قبل؛ ولاسيما فيما يتعلق بتجهيز النسخ الجذابة للقرآن الكريم.(١)

وقد ذكر أنّه كان يعمل في بلاط عبد الرحمن الناصر أمهر النسّاخ باستمرار، ومعهم رسّامون ومزخرفون. وقد لمعت أسماء كثيرة في الأندلس من النسّاخ وأهل الخط والورّاقين .

كما ذُكر أن الخليفة الحكم المستنصر بالله كان يجمع في بلاطه في قرطبة حذقة المجلّدين والنساخين، وكان له من الكتب ما لم يكن لأحد مثله.(٢) وكان قصره حافلاً بالكتب وأهلها حتى بدا كأنّه مصنع لا يرى فيه إلَّا نساخون ومجلدون ومزخرفون يحلون الكتب بالمنمنمات والرسوم الجميلة.(٣)

---

(١) **الوراقة والورّاقون في الأندلس**: د. سامية مصطفى سعد، ص ٣٧.

(٢) **الوراقة والورّاقون في الأندلس**: د. سامية مصطفى سعد، ص ٣٤.

(٣) **الوراقة والورّاقون في الأندلس**: د. سامية مصطفى سعد، ص ٤٠.

وكان لصناعة الكتب ونَسْخ المصاحف دور مهم في الحضارة الإسلامية في الأندلس.

ارتقى الأندلسيون درجة رفيعة في ميدان التجليد وزخرفة الكتاب ورسومه، وأبدوا من المهارة والإتقان في تجليد الكتب والعناية بشكلها الخارجي شيئاً عظيماً، فكان الورّاقون حريصين -بالإضافة إلى جمال خط الكتاب والعناية بصحة نسخه- أن يكون في أجمل صورة وأبهى حلّة؛ ليطابق مظهره الأنيق الفاخر ما يحتوي بداخله من علم نفيس.(١)

**١- التذهيب**

عندما يقوم الخطاط بكتابة الخطوط يترك الفراغات اللازمة لتزيين بعض صفحات الكتاب وحواشيه وبدايات الفصول ونهاياتها، فضلاً عن الصفحات الأولى والأخيرة. ويقوم بهذا العمل فنان متخصص في رسم الزخارف بالألوان المختلفة، ثم يسلم المخطوط بعد ذلك للمذهب الذي يقوم بتذهيب وتلوين هذه الرسوم. وكان بعض الرسامين يجيدون التذهيب أيضاً، لذلك حرصوا على إضافة كلمة مذهب قرين أسمائهم صفةً يعتزون بها.(٢)

ويعدُّ المصحف الشريف من المخطوطات الأولى التي خَصّها الفنانون بجهدهم لتجميله وزخرفته، وتطوير أساليب رسمه وحفظه. وطبيعي أن تكون كتابة المصاحف أول الميادين التي عمل فيها الخطّاطون والمذهّبون، وقد كانت العناية الفائقة بالخط سبباً في تطويره على يد خطاطين فنانين تفنّنوا في تجميل حروفه وتقويسها ومَدِّها، وزخرفة رؤوسها وذيولها بالأوراق والأزهار والسيقان، حتى انفرد الفن

(١) **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**: د. سعد عبد الله البشري، ص ٢٠٥ .
(٢) **الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه**: أبو صالح الألفي، ص ٢٤٩-٢٥٠.

الإسلامي من بين فنون العالم أجمع بالخط الزخرفي الذي استعمل في أوسع نطاق، وفي جميع المنتجات الفنية.(١)

ويشير ابن سعيد إلى أنّ الخط الأندلسي الذي رآه في مصاحف ابن غَطُّوس (ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م) بشرقي الأندلس وغيره من الخطوط المنسوبة للأندلسيين، لها حسن فائق ورونق وبَهاء يأسر الألباب، وترتيب يشهد لمن كتبها بقوة الصبر والجَلَد والإتقان.(٢)

**٢- التجليد**

يُعَدُّ عمل المجلد استكمالاً لعمل الخطّاط والمذهِّب والمصوّر، وكان الجميع يتعاونون تعاوناً كاملاً لإخراج المخطوطات لتبدو فيها الوحدة والجمال والفخامة. وكانت العناية بمظهر الكتاب الخارجي عظيمة ليتحقق جماله ومتانته. ولم تقتصر الزخرفة على الغلاف الخارجي لجلدة الكتاب ولسانه، ولكنها امتدت إلى باطن الغلاف، إذ زيّنت هي الأخرى أبدع تزيين.(٣)

وكان الاهتمام بتجليد القرآن العظيم والكتب في الأندلس بالغاً وعظيماً. كان للأندلسيين اهتمام كبير بالكتب والمصاحف، وبترميمها وصيانتها وحفظها في محافظ جلدية وصناديق خشبية، وبخاصة المصاحف الكبيرة الحجم، وفي أجزاء كثيرة ومتعددة ومتنوعة.

وعثر في جامع الكتبية على كتب استعيض بلوح الجلد أو الخشب منها الورقُ

(١) **الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه**: أبو صالح الألفي، ص ٢٥١.
(٢) **تكملة الصلة**: ابن الأبار، ج ٢، ص ٥٩٣.
(٣) **الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه**: أبو صالح الألفي، ص ٢٥٢، **الفنون الجميلة في العصور الإسلامية**: عمر رضا كحّالة، ص ١٧٦.

السميك (الكرتون)، وهي ابتكارات جديدة في فن التجليد، أما المصاحف فقد خُصَّت إضافة إلى التجليد بصنادق خشبية أو فضية تكريماً لها، وربما كسيت غلافات الكتب بالحرير.

وقد نالت مدينة مالَقة قصب السبق في صناعة الجلود عامة، وتجليد الكتب تجليداً فاخراً، فأسهمت بدور فعّال في تطوّر هذا اللون من فنون الكتاب حتى بلغ تجليد الكتاب في الأندلس -من وراء إسهام هذه المدينة العظيمة- درجة رفيعة ليس في الأندلس فقط، وإنما على مستوى العالم الإسلامي.(١)

وكان لاهتمام الخلفاء بالكتب وتجليدها وتحليتها أثر كبير في ذلك، ومن أكبر الدلائل على هذا اهتمام الخليفة عبد المؤمن بن علي، مؤسس دولة الموحّدين بالمغرب (حكم ٥٢٤-٥٥٨هـ/ ١١٢٩- ١١٦٢م) بتجليد مصحف عثمان وهو أحد المصاحف التي أرسلها الخليفة عثمان بن عفان إلى الأمصار، والذي أهداه إليه أهل قرطبة. وكان حريصاً على تجليد هذا المصحف وتحليته، وجمع لذلك الصنّاع والمتفنّنين من سائر بلاد المغرب والأندلس.(٢)

ومن المُجَلِّدين المعروفين في عصر الموحدين عمر بن مرجي الإشبيلي، وكان يرصّع جلود المصاحف بالجواهر. ومن المجلدين المعروفين هذا العصر أبو عمرو بكر ابن إبراهيم بن المجاهد اللَّخْمي الإشبيلي، نزيل فاس ومراكش (٦٢٨ أو ٦٢٩هـ)،(٣) وقد وضع هذا رسالة في استعمال اللوح، ثم المصاحف الملوحة، وتخصص الرسالة

(١) **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**: د. سعد عبد الله البشري، ص ٢٠٦.

(٢) **الوراقة والورّاقون في الأندلس**: د. سامية مصطفى سعد، ص ٣٤.

(٣) **تاريخ الوراقة المغربية**: محمد بن عبد الهادي المنوني، ص ٢٩- **صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد، الدورة التدريبية الأولى**، ص ١٢٥.

-للأوعية المصحفية- البابين السادس عشر، والسابع عشر: باب العمل في الأقربة المبنية، وفي ختام هذا الباب ترد إشارة إلى صفة عمل أوعية جلدية للمحابر والأحقاق والأدراج والأغشية وغيرها، مع تخصيص باب على حِدَة لطريقة العمل في إعداد رقعة جلدية لحفظ السكين والمقرضين، أو لصيانة الأقلام.(١)

أبدى الأندلسيون من المهارة والإتقان في تجليد وزخرفة الكتب والعناية بشكلها الخارجي شيئاً عظيماً، وارتقوا درجة رفيعة في هذا الفن.

(١) **تاريخ الوراقة المغربية**: محمد بن عبد الهادي المنوني، ص ٣٢.

## المبحث الثالث

## أشهر الخطّاطين الأندلسيين الذين خطّوا المصحف الشريف

تفنّن المسلمون عبر العصور في تجويد كتابة المصاحف. وإنّ أول من كَتب المصاحف في الصدر الأول خالد بن أبي الهياج، وكان سعد نصَّبه لكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك.(١)

ولقد بلغت كتابة المصاحف عند أهل الأندلس من الكمال وحسن الخط ما لم تدركه من قبل وبعد. فكانت نسخ المصاحف أحسن ما يكتب من حيث تجويد الخط والشكل، قيل: رأى ابن خليل بنفسه مصحفاً في وادي الحجارة في آخره ملاحظة تقول: كتبته بقلم واحد قطع مرة واحدة.(٢)

ونال القرآن الكريم من الورّاقين الأندلسيين اهتماماً عظيماً، وشهد من كثير منهم عناية فائقة سواء في نسخه وخطّه أو في تجليده وزخرفته، ولا تزال في بعض دور الكتب في تونس والجزائر والمغرب نسخ عديدة من القرآن الكريم مكتوبة بخط أندلسي لبعض ورّاقي الأندلس، ويذكر ابن الخطيب أنّ الأمير عبد الله أمير غَرْناطة كان بديع الخط، وخلَّف ضمن ذخائره قطعة من القرآن الكريم (بخطه في نهاية الصنعة والإتقان).(٣)

وإذا تصفحنا كتب التاريخ والتراجم الأندلسية، وجدنا أعداداً كبيرة من النسَّاخ

---

(١) **دفاعاً عن الفنون الإسلامية**: الحسن السائح، ص ٣٨.

(٢) **مصوّر الخط العربي**: ناجي زين الدين، ص ٣٣٢.

(٣) **الإحاطة في أخبار غرناطة**: لسان الدين بن الخطيب، ج ٣، ص ٣٧٩-٣٨٠.

والخطاطين الذين عكفوا على نسخ القرآن الكريم حتى اشتهروا بذلك، ويكفي أن نشير إلى أنّه (كان بالرَّبَض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها؟).[1]

ومن الخطاطين المشهورين في الأندلس الذين خطّوا المصحف الشريف **أحمد بن عمر الشعري** (توفي بعد سنة ٣٥٠هـ) الورّاق المقرئ، قرطبي يكنى أبا بكر، كان يكتب المصاحف وينقطها، وكان الناس يتنافسون على ابتياعها لصحتها، وحسن ضبطها وخطها.[2]

ومن الخطاطين **سليمان بن محمد المعروف بابن الشيخ القرطبي** (ت نحو ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، كان خطّاطاً بديع الخط، فكتب بخطّه مصاحف كثيرة، واستمر على ذلك من أول نشأته بقرطبة، وحتى وفاته بطليطلة بعد ذلك.[3]

وينسب إلى الورّاق محمد بن إسماعيل بن محمد المعروف **بحبيش القرطبي** مهارته الفائقة في كتابة المصاحف، حتى إنّه كان يكتب المصحف في جمعتين أو نحوهما، وكان أبوه إسماعيل متولّياً قضاء إشبيلية للمستنصر، وبناء عليه فإنّ ابنه محمداً قد يُلحق بعصر الطوائف.[4]

ومن الخطاطين المشهورين في الأندلس محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن مفرّج الأنصاري، أبو عبد الله **بن غطّوس** (توفي ٦١٠هـ)، خطّاط الأندلس الشهير من بلنسية، كان وحيد عصره في كتابة المصاحف في الأندلس. انفرد في وقته بالبراعة في

(١) **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**: المَرَّاكُشي، ص ٥٢٠.
(٢) **الوراقة والورّاقون في الأندلس**: د. سامية مصطفى سعد، ص ٤٩.
(٣) **الصلة**: ابن بشكوال، ج ١، ص ١٩٨-١٩٩.
(٤) **تكملة الصلة**: ابن الأبار، ج ١، ص ٣٧٣.

كتابة المصاحف ويقال إنّه كتب ألف مصحف، تنافس فيها الملوك وكبار الناس. وكان قد آلى على نفسه ألّا يكتب حرفاً إلّا من القرآن، خلف أباه وأخاه في هذه الصناعة.(١)

كان له بيت فيه آلة النسخ والرقوق وغير ذلك، وكان يختلي في غرفته، ولا يسمح لأحد بالدخول عليه، وقيل: إنّ مصحفه كان يباع بما يزيد على مائتي دينار. قال الصفدي: «وقد رأيت أنا بخطّه مصحفاً أو أكثر، وهو شيء غريب من حُسن الوضع ورعاية المرسوم، ولكلِّ ضبط لونٌ من الألوان لا يُخِلّ به، فاللَّازَوَرْد للشدَّات والجزمات، واللّك للضمَّات وللفتحات والكسرات، والأخضر للهمزات المكسورة، والأصفر للهمزات المفتوحة إلخ».(٢)

وكان ببلنسِيَة مدرسة خاصة بالخطاطين، أمّا الخطاطون في الإقليم الشمالي فكان فيهم ممن لم يكن أحد من أهل زمانه يدانيه، إذ امتاز **محمد بن محمد بن يحيى** (توفي سنة ٦٣٠هـ) في جزيرة شقر بكتابة المصاحف، ولم يدانه أحد في المعرفة بنَقْطها والبصر برسمها، مع جودة الخط والإتقان.(٣)

ومن الخطاطين المشهورين في الأندلس نذكر: **ابن مفصل** من أهل مالَقة، كان ورعاً، كتب سبعين مصحفاً كاملاً، وكان يرفض أن يجري قلمه بغير الآيات القرآنية.(٤)

**اهتمام النساء الأندلسيات بالخط العربي:**

ثمة ظاهرة تستحق الإعجاب، وهي تفوّق النساء في هذا الميدان وبروز عدد كبير منهن خطّاطات وناسخات ماهرات، وإنْ كنّا لم نشر إلّا إلى أسماء محدودة منهن، إلّا أنّ

(١) **الوافي بالوفيات**: الصفدي، ج ٣، ص ٤٥١ - **الأعلام**: الزركلي، ج٦، ص ٢٣١.
(٢) **الوافي بالوفيات**: الصفدي، ج ٣، ص ٤٥١- ٤٥٢.
(٣) **مصوّر الخط العربي**: ناجي زين الدين، ص ٣٣٢.
(٤) **مصوّر الخط العربي**: ناجي زين الدين، ص ٣٣٢.

الأندلس أخرجت الكثير منهن، ممن جمعن إلى العلم والمعرفة، البراعة في الخط والكتابة الحسنة لكثير من الكتب.

كتب ابن حزم عن النساء يقول: «وهنَّ علَّمنَني القرآن وروَّيننَني كثيراً من الأشعار ودرَّبنني في الخط».(١)

شاركت النساء في هذا النشاط العلمي، فكان منهن الخطاطات البارعات، وكان في قرطبة وأرباضها المختلفة طائفة كبيرة من النساء البارعات في الخط، وكن ينسخن المصاحف بخط بديع.(٢)

ومارس النسخ طائفة كبيرة منهن مع اتصافهنّ بالبراعة وجودة الخط، وكان لذلك أثره في بلوغ بعضهن منزلة عالية لدى الخلفاء، وكان للخليفة عبد الرحمن الناصر كاتبة تدعى (مزنة) وصفت بالمهارة في الكتابة وحسن الخط(٣). كما كان للخليفة الحكم المستنصر كاتبة تدعى لبنى (توفيت سنة ٣٧٤هـ) عرفت بالبراعة في الكتابة وسعة الأدب حتى قال في وصفها ابن بشكوال: «لم يكن في قصرهم -أي الخلفاء- أنبل منها وكانت عروضية، خطاطة جداً».(٤)

وممن برعن من النساء في الخط **عائشة بنت أحمد القرطبي**، من أهل قرطبة، وهي شاعرة قديرة عفة جريئة أديبة خطاطة ديّنة. قال ابن حيان في المقتبس: «لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يَعْدلها علماً وفهماً وأدباً وشعراً وفصاحة، تمدح الملوك

(١) **طوق الحمامة في الألفة والأُلاّف**: ابن حزم، ص ١٦٦.

(٢) **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**: د. سعد عبد الله البشري، ص ١٣٣، **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**: د. سعد عبد الله البشري، ص ٢٠٤.

(٣) **إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس عصر ملوك الطوائف**: د. سهى بعيون، ص ٤٥٣، **الوراقة والورّاقون في الأندلس**: د. سامية مصطفى سعد، ص ٤٦.

(٤) **الصلة**: ابن بشكوال، ج ٢، ص ٥٣١.

وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف، وماتت عذراء ولم تُنكح (سنة ٤٠٠هـ)».[١]

ومن الخطّاطات الأندلسيات المشهورات نذكر **فاطمة بنت زكريا بن عبد الله الشبلاري** (ت ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) فقد كانت بارعة في الخط، ضابطة لما تنسخه من الكتب، وكتبت في حياتها الطويلة التي بلغت ما يقارب تسعين سنة كتباً كثيرة.[٢]

ويمكن أن نضيف إليهن الأديبة **صفية بنت عبد الله الريي** (توفيت سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م) كانت جميلة الخط، مشهورة بذلك، وحدث أن عابت خطها إحدى صديقاتها فقالت:

وعائبةٍ خطي فقلت لها اقصري ... فسوف أُريكِ الدُّرَّ في نظم أسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها ... وقَرَّبت أقلامي ورَقِّي ومحبري
فخطت بأبيات ثلاث نظمتُها ... ليبدو بها خطي فقلت لها انظري[٣]

(١) **نفح الطيب**: المقري، ج٤، ص ٢٩٠، **الصلة**: ابن بشكوال، ج٢، ص ٥٣١-٥٣٢، **الأعلام**: خير الدين الزركلي، ج ٣، ص ٢٣٩-٢٤٠، **الدر المنثور**: زينب بنت علي فوّاز، ج٢، ص ٦٤، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**: د. مصطفى الشكعة، ص ١٣٢-١٣٣، **حضارة الإسلام**: صلاح الدين خودابخش، ص ١٤٨.

(٢) **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**: د. سعد عبد الله البشري، ص ٢٠٤، **الوراقة والورّاقون في الأندلس**: د. سامية مصطفى سعد، ص ٤٧.

(٣) **جذوة المقتبس**: الحميدي، ص ٤١٢.

## الخاتمة

سرنا في هذه الدراسة مع الخط العربي في رحلته إلى الأندلس وتطوّره في تلك البلاد. هي رحلة ممتعة تعرفّنا بها على الخط الأندلسي، خصائصه وأنواعه. رأينا فيها اهتمام الأندلسيين بفن الخط العربي، وكيف نال القرآن الكريم من الورّاقين الأندلسيين اهتماماً عظيماً، وشهد من كثير منهم عناية فائقة سواء في نسخه وخطّه أو في تجليده وزخرفته. كما تعرفنا على أشهر الخطاطين الأندلسيين الذين خطّوا المصحف الشريف.

استمر الحرف العربي في الأندلس ثمانية قرون، كان خلالها مثالاً يحتذى للنهضة العلمية الرائعة التي خلّفها العرب في الأندلس، والتي أصبحت فيما بعد أنموذج المجتمع الإسلامي المثالي لمن أراد أن يعمل بروح الإسلام، وكانت الابتكارات الكثيرة، والاختراعات العجيبة.

إنّ الخط العربي في الأندلس لا يزال رغم مرور أكثر من ألف عام يحكي قصة الفن والإبداع العربي والإسلامي الذي توصَّل إليه الخطَّاط والفنان المسلم في الأندلس، حين وجد البيئة المناسبة للإبداع والنبوغ.

وإنّ الخط العربي كان وسيظل هو الفن العربي الأصيل الذي يعبِّر بصدق عن الروح العربي وطموحه وآماله، وبفضل رعايته وازدهاره سوف يتزوّد المجتمع العربي بروح الابتكار التي يشيعها الفن في المجتمع والتي لا غنى عنها لنهضته وتقدّمه.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه لخدمة تراثنا العربي والإسلامي الذي نعتز به، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

# المصادر والمراجع


١- **الإحاطة في أخبار غرناطة**: ابن الخطيب، لسان الدين، تحقيق محمد عبد الله عنان، مصر: القاهرة، مكتبة الخانجي، ج١، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - الأجزاء الثلاثة الأخرى، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

٢- **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**: د. مصطفى الشكعة، لبنان: بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٤م.

٣- **إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس عصر ملوك الطواف**: د. سهى بعيون، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٩/ ٢٠٠٨م.

٤- **أطلس الحضارة الإسلامية**: د. إسماعيل راجي الفاروقي، د. لوس لمياء الفاروقي، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥- **الأعلام (قاموس تراجم)**: خير الدين الزركلي، الطبعة العاشرة، لبنان: بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.

٦- **تاريخ الوراقة المغربية**: محمد بن عبد الهادي المنوني، الطبعة الأولى، المملكة المغربية: الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

٧- **تاريخ وفن صناعة الكتاب**: سمير عطا الله، لبنان: بيروت، دار عطا الله للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.

٨- **تطوّر كتابة المصحف الشريف وطباعته**: د. محمد سالم بن شديد العوفي، المملكة العربية السعودية: المدينة المنوّرة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ.

٩- **التكملة لكتاب الصلة**: ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي، شرحه وصححه حسين عزت العطار الحسيني، مصر: القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٥م.

١٠- **جذوة المقتبس**: الحميدي، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، تحقيق د. روحيّة عبد الرحمن السويفي، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١١- **حضارة الإسلام**: صلاح الدين خودابخش، ترجمة وتعليق د. علي حسني الخربوطلي، لبنان: بيروت، دار الثقافة، ١٩٧١م.

١٢- **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**: د. سعد عبد الله البشري، المملكة العربية السعودية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٣- **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**: د. سعد عبد الله البشري، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٣م.

١٤- **الخط العربي تاريخه وأنواعه**: يحيى سلّوم العباسي الخطاط، العراق: بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٨٤م.

١٥- **الخط المغربي عند ابن خلدون**: د. محمد المغراوي، مجلة حروف عربية، العدد الرابع، السنة الأولى، تموز ٢٠٠١م.

١٦- **الخط والكتابة في الحضارة العربية**: د. يحيى وهيب الجبّوري، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م.

١٧- **دفاعاً عن الفنون الإسلامية**: الحسن السائح، المملكة المغربية: الرباط، دون مكان نشر، ٢٠٠٢م.

١٨- **الدُّرُّ المنثور في طبقات ربّات الخدور**: زينب بنت علي فوّاز، الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

١٩- **دراسة في تطوّر الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة**: د. إبراهيم جمعة، مصر: القاهرة، دار الفكر العربي، العراق: بغداد، جامعة بغداد، ١٩٦٩م.

٢٠- **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، قدّم له وضبطه وشرحه د. صلاح الدين الهوّاري، الطبعة الأولى صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢١- **صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد**، الدورة التدريبية الأولى، الإمارات العربية المتحدة: دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، أبو ظبي، جامعة الإمارات المتحدة، المملكة المغربية: الرباط، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٢- **طوق الحمامة في الألفة والأُلّاف**: ابن حزم، علي بن أحمد، تحقيق إحسان عباس، لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.

٢٣- **الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه**: أبو صالح الألفي، مصر: القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م.

٢٤- **الفنون الجميلة في العصور الإسلامية**: عمر رضا كحّالة، سوريا: دمشق، المطبعة التعاونية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٥- **الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط**: صالح بن إبراهيم الحسن، المملكة العربية السعودية، دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٦- **كتاب الوافي بالوفيات**: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الطبعة الثانية غير المنقحة، ألمانيا: ڤيسبادن، دار نشر فرانز شتاينر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٧- **مصوّر الخط العربي**: ناجي زين الدين، الطبعة الأولى، بغداد، منشورات مكتبة النهضة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٢٨- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**: المَرَّاكُشي، عبد الواحد، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م).

٢٩- **مقدمة ابن خلدون**: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، الطبعة الرابعة، لبنان: بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٠م.

٣٠- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**: المقري، أحمد بن محمد التلمساني، حققه د.إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٣١- **وحدة الفن الإسلامي**: معرض عن الفن الإسلامي، المملكة العربية السعودية: الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٥هـ.

٣٢- **الوراقة والورّاقون في الأندلس**: د. سامية مصطفى سعد، الطبعة الأولى، مصر: القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠م.

# فهرس الموضوعات

ملخص البحث..... ١٤١
مقدمة ..... ١٤٢
المبحث الأول: نشأة الخط الأندلسي وانتشاره..... ١٤٤
المبحث الثاني: اهتمام الأندلسيين بتجليد وزخرفة المصاحف ..... ١٤٩
المبحث الثالث: أشهر الخطّاطين الأندلسيين الذين خطُّوا المصحف الشريف ..... ١٥٤
الخاتمة ..... ١٥٩
المصادر والمراجع ..... ١٦٠